أمـــل يضيع

للسيدة الفاضلة « ليلى »

إلى العذراء التي طال عليها الانتظار ، وظلت مجهولة كزهرة الصحارى والقفار . إلى الحزينة الصامتة تسائل نفسها : متى وأبان ، أعدى كلتى وأقدم تعزيتى « ليلى »

يا لؤلؤتى اللامعة ، يادرتى الغالية ، يازنبقتى الناضرة الناعمة ، مضت الشهور والأعوام ، وأنت قابعة فى انتظار . ما الذنب ذنبك ، ولكنه أبوك الفقير ، لا هو موظف كبير ، ولا صاحب جاه خطير ، لقد طغت المادة على الرجولة فأضعفتها ، وعلى الأخلاق فأفسدتها ، فتمامت العيون عن الجوهر المكنون ، وتهافت الشباب المتسكع على أبواب الغنى واليسار يطلبون يد الفتاة التى يعيشون على هامش حياة أبيها متفاخرين ، وعلى صبابة من ماله متهالكين . يحز فى قلبى وتملأه الحسرة أن ينطفىء فى نفسك نور الأمل ، وينهار صرح الأمانى ، وأن تخبو نظرتك المتألقة ، وتفيض ابتسامتك المشرقة ، ويختفى الفرح الذى يملأ قلبك ، والمرح الذى يشع فى نفسك ، والروح الهائمة الحالمة تصبح حيرى متألمة . ها هن أخوات لك أخريات ينمو بهن الشباب كما تنمو الأزهار فى المنبت الطيب والتربة الجيدة يشتد عودهن ويقوى ينتظرن انتظارك ويحلمن أحلامك ، والمستقبل أمامكن مظلم غامض ، وعجلة الحياة تدور بغير ما هوادة ولا رحمة ، والقلوب الحزينة مطوية على الأمل الضائع كما يطوى القبر على عزيز غال ، والعبرة محبوسة لا تفيض ، والشفاه لا تنبس بأنة ولا شكوى ، والعاطفة مكبوتة فى سجن من التقاليد . إنه ليؤلمك أن تكونى عالة على ذويك ، وعبئاً على أمك وأبيك . ما توقعنا لك خيبة الأمل ، وإلا أعددناك لحياة الشقاء والعمل

يا بنيتى الحبيبة ، لم يكن ينقصك عقل ولا ذكاء موفور ، لك الحسن والرواء ، تقفتاك على قدر ما وسع جهدنا ، وحبوناك بعطفنا وحناننا ، ورعيناك بالأعين والقلوب ، وأحفناك بكل ما تسمح الجهود ، ولم نترك فيك خلقاً إلا قومناه ، ولا اعوجاجاً إلا أصلحناه ، حتى ملأت البيت علينا بالبهجة والسرور ، وغدوت زينة المجتمع والخدور . والآن يستورك الملل تضيقين بنا ونضيق بك ، وماهو ذنبنا أو ذنبك ، إنها المادة التى طغت على الرجولة فأضعفتها ، ولا على الأخلاق فأفسدتها . وأبوك موظف صغير ، لا هو بالغنى ولا بالكبير . لقد تغير العصر والجيل ، وضاعت وصايا القرآن والإنجيل . كان جدوك السابقون يحثون لأولادهم عن المنبت الطيب والأساس المتين ، وتتصاهر العائلات وسداها اللحمة الطيبة ولحمتها البيت الكريم . والآن يا فتاتى لا الخلق الجميل ، ولا العقل الرصين ، ولا كفايتك فى إدارة البيت ، ولا ثقافتك لتكونى من خيرة الأمهات ، وأمانتك لتكونى أطهر الزوجات ، ولا سمو روحك وجمال نفسك ، بمزكيتك لدى الرجل مادمت لست غنية ، ولا أبوك صاحب ضيعة (وأبعدية) ، وعلى هذا يظل الشبان متقاعدين ، عابثين أو منتظرين ، وعلى مقربة منهم وفى متناول أيديهم السعادة والنعيم ، وما هى بمضمونة فى زيف الجاه الباطل ، أو موجودة فى استجداء العرض الزائل ، وليس فى ارتواء الحب الآثم غير الخسران ، والجرى وراء المعصية غير إطاعة الشيطان . أعجب للرجل يهرب من النعمة كالسائحة الضالة ؛ لا تعرف لها راع من رعية ، ينتظر حتى يفوته الشباب ويجدب أيما إجداب ، وهكذا يظل ينغمس فى أحضان الفسق والدعارة الشيوعية . ما دامت لا توجد الزوجة الغنية . حقاً لقد طغت المادة أى طغيان ، وتناسى الواجب أى نسيان ، فعزاء للعذارى فى خدورهن ، ونصيحتى أن تعملن ولا تنتظرن ، وربما تجدن من يتزوجكن من شباب الجيل الحاضر لتمن بالنفقة عليه ؛ ورحم الله ماضى الرجولة وأيام أمهاتكم وجداتكم ولا تخر بعد ذلك للرجال

« ليلى »